طيّبون

توقفت عن مشاهدة الأخبار! توقفت عن مشاهدة الأخبار حفاظًا على صحتي النفسيّة. لا أستطيع أن أرى صور الجثث المتراكمة بين البنايات المهدومة، جثث الأطفال والنّساء، صور الرّجال وهم يبكون على أولادهم وبناتهم. صورٌ تعود لتظهر في أحلامي وخلال نومي يوميًا، ولا ترحم نهاري.

استغرب من أولئك الأشخاص الذين يضعون صور جثث الأطفال بوجوههم الشّاحبة التي اختفت ألوانها. لا أعرف ماذا يشعر الشّخص الذي يضع هذه الصّور في حسابات "الفيسبوك والانستجرام" ليحظى بإعجاب المتابعين الذين يكرّرون جملة "الله يرحمهم" اوتوماتيكيًّا. وعندما لفتّ نظر أحدهم ردّ عليّ قائلًا "ما دخلك."

أشهد أيضًا أنّ الكثيرين التزموا خلال هذه الفترة وامتنعوا عن مظاهر الفرح والسّرور، التزموا ولم يضعوا صور الحفلات أو الرحلات أو الأكل. إلّا بعض التّافهين من المرضى النّفسيّين الذين رأوا بالأمر فرصة سانحة لإظهار مرضهم النّفسي، أمثال ا ما يُسمّون "بمشاهير التيك توك". يعني مرات أتساءل أين أهلهم؟! "فش حدا يضبهم " أو حتى اعذروني "يدَعِّس" عليهم؟!

نحن شعب اعتدنا على المصائب والويلات، لكن ليس بهذا الكم من الضّحايا والدّمار. لم نعتد على رؤية هذه الكميّة الهائلة من الجثث. الصّور تعود وتظهر وتأبى أن تختفي"؛ أن تتلاشى.

أصبحنا نتخيّل، أصبحنا نفكّر ماذا لو؟ أصبح الخبراء يتنبئون أنّ "الدور علينا" وأنّ الهزّة الأرضيّة قادمة لا محالة. زادوا الطّين بلّة، بدل أن يخففّوا عنّا زادوا من مخاوفنا

وهلعنا. إننا مدللون واولادنا مدللون أيضاً، لن نتحمل مصيبة من هذا العيار الثقيل، ولن يتحملها ابناؤنا المتوفر لديهم كل شيء. أعرف أننا سننسى، أعرف أنها عدّة شهور ونستمرّ في روتين حياتنا اليوميّة من غلاء الأسعار والمعيشة، من عطل ورحلات، وتسوّق ومطاعم وأعراس. سيأتي رمضان قريبًا لتدور حياتنا حول الأكل والشّرب والمسلسلات الرمضانيّة، نعود لنترحم على الموتى كأقصى حد. هكذا اعتدنا وهكذا عِشنا وسنستمر بذلك.

توقّفت عن مشاهدة الأخبار، رغم ذلك سررت عندما سمعت أنّ النّاس قد بدأوا بالتّحرّك. بدأ النّاس بجمع التبرّعات. بدأ طلّاب المدارس بفتح خزناتهم للتّبرّع بها لضحايا الزلزال. بدأت الجمعيّات بتوزيع المؤن والخيام والملابس للسّكّان في تركيّا وسوريا.

نحن طيبون، كنّا وما زِلنا طيبين، معدننا طيب، أهلنا طيبون. بالفعل ما أن تحدث مصيبة حتى نهبّ لتقديم المساعدة والعون، هكذا نحن وهذه حقيقتنا وكأننا نكفّر عن الكثير الكثير من المواقف المعاكسة، لكننا طيّبون ونحب الخير. دعونا نبكي بهدوء، دعونا نلملم جراحنا ونخرج الى الحياة من جديد، دعونا نأخذ العبر والدروس مما يحدث، دعونا نوعّي اولادنا على حب الاخر وحب الغير، على التطوع والعطاء فدوام الحال من المحال .